



Literature of the Palestinian Cause: Heroic Cultural Resistance and the Consolidation of Identity (A Study of Selected Examples from Contemporary Arabic Poetry)

Dr. Mansoria Benabdellah Talet 1

1: University of Tipaza, Algeria, benabdellah.mansouria@univ-tipaza.dz

<https://orcid.org/0009-0009-6516-291X>

Abstract:

The most dangerous thing facing the individual is the crisis of identity, which is the result of conflict between religions, especially the colonizer countries looking for making a deep discrepancy within their colonies for destroying their social constructions and systems so that their cultural construction would change, and they become strange within their lands through eradicating their identities' features and destroying their historical, national and religious symbols. The real example of that conflict is the conflict between Palestine and the Zionistic entity. It isn't only a political conflict, it's rather a conflict of different religions including Judaism, Christianity and Islam. Its objective is to create a cultural gap and a crisis of identity, which makes a division within the Palestinian society, which would deteriorate its identity and belonging.

This research paper looks for revealing the hidden things within the creative ego, which proves its belonging and oath to its homeland. It devotes its arms to defend its issue with its resistant cultural intellectual literature with its national language, which is the slogan of its identity and nationality. We mention the Palestinian committed poetry, with its national dimensions, through which the policy of humiliation, genocide, the cultural eradication and the psychological corruption is reflected, from one hand, and a call for struggle is declared, from another hand. The rebellious literature against the Judaization policy and its Zionistic entity with its culture full of otherness aiming at destroying the Arab Palestinian identity features and isolating it from its original culture. So, the ego, aware of its cultural identity, looks for freedom through challenging another culture against enemy through strengthening the national feeling, mobilizing inspiration and awakening the anesthetized consciousnesses to achieve freedom and independence. To what extent does the contemporary poetry contribute to consolidate the Palestinian identity?. How is the creative ego represented those results?. How could it maintain its identity, considering the fact that it's a part from a group, without being satisfied with a multiplication or an alternate ?.

Key words: identity, culture, Palestine, the literature of resistance, poetry, hidden.

Received: 01/01/ 2026

Accepted: 12/03/2026

Published: 24/05/2026

أدب القضية الفلسطينية "مقاومة ثقافية بطولية وتأصيل للهوية" دراسة لنماذج مختارة من الشعر العربي المعاصر

د. منصورية بن عبد الله ثالث¹

¹: جامعة تيبازة - الجزائر، benabdellah.mansouria@univ-tipaza.dz

<https://orcid.org/0009-0009-6516-291X>

ملخص:

إن أخطر ما يواجه الفرد هو أزمة الهوية، التي تنشأ عن الصراع القائم بين الديانات، وبخاصة الدول المستعمرة التي تسعى جاهدة إلى إحداث خلخلة في عمق مستعمراتها مستهدفة تحطيم بنيتها الاجتماعية ونظمها، لتنتقل إلى بنيتها الثقافية حتى تجعلها غريبة على أرضها باستئصالها لمعالم هويتها وتدمير رموزها التاريخية، الوطنية والدينية. من ذلك الصراع القائم بين الدولة المحتلة فلسطين وبين الكيان الصهيوني، وهذا الأخير ليس صراعا سياسيا فحسب بل هو صراع بين مختلف الديانات بتباينها: اليهودية المسيحية والإسلامية؛ صراع هدفه خلق فراغ ثقافي وأزمة هوياتية من شأنها أن تسبب انشطارا في المجتمع الفلسطيني، يزعزع به وحدته وانتماءه.

وقد سعينا في هذه الورقة البحثية أن نكشف عما هو مضمّر وخفي في الذات المبدعة التي أثبتت انتماءها وولائها لوطنها مسخرة يراعها للدفاع عن قضيتها بأدبها الثقافي والفكري المقاوم، بلغتها الوطنية التي عدت شعار هويتها وجنسياتها، ونحصّ بالذكر الشعر الفلسطيني الملتزم بأبعاده الوطنية والقومية الذي عكست من خلاله سياسة القمع والإبادة والاستئصال الثقافي والتخريب السيكلوجي من ناحية، والدعوة إلى النضال من ناحية أخرى؛ الأدب المتمرد على السياسة التهودية وكيانها الصهيوني بثقافته المشحونة بالمحمولات؛ ثقافة غيرية هادفة إلى طمس معالم الهوية العربية الفلسطينية وعزلها عن ثقافتها المشكّلة لها، لتواجه الذات الواعية بهويتها الثقافية المتطلّعة للحرية ثقافة الآخر، معلنة روح التحدي ضدّ العدو؛ بشحنها للحسّ الوطني والقومي واستنهاضها للهمم وإيقاظها للضمائر التي خدّرها الكيان الصهيوني لتحقيق الحرية والاستقلال. فما مدى إسهام الشعر المعاصر في تعزيز الهوية الفلسطينية؟. كيف تمثّلت الذات المبدعة تلك المخرجات؟. وكيف استطاعت أن تحافظ على هويتها باعتبارها جزءا من الجماعة دون أن ترضى بتعدد أو بديل؟.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، فلسطين، أدب المقاومة، الشعر، مضمّر وخفي.

مقدمة:

تعدّ القضية الفلسطينية من القضايا السياسيّة والتاريخيّة التي تناولها المؤرّخون والأدباء والشعراء في قصائدهم؛ شعراء هزّتهم النكبة وحركتهم الأنفة والنّخوة فأبدعوا في وصف المأساة بجرحها العميق بأوجاعها وآلامها، شعراء خاضوا نضالا أدبيا مقاوما إلى جانب السلاح، مرتكزين في ذلك على المناحي التي مسّت الجانب الهويّاتي لاستعادة الحق المسلوب في ظلّ محاولة الآخر تحويل الأراضي الفلسطينيّة إلى مساحة جغرافية فارغة؛ دولة دون دستور سياديّ يحكمها، أو أرض يتشرّبوا منها تنشئتهم الاجتماعية؛ عاداتهم، تقاليدهم، ورموزهم الدينية والوطنية والتاريخيّة؛ باجتناثه واستئصال وإبادة هويّتهم الضاربة في عمق التاريخ واقتلاعها من جذورها، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نجد شعراء معاصرين كان لهم دور كبير في إنكفاء النزعة الوطنية والقوميّة نذكر منهم: الابن البار للقضيّة الفلسطينيّة محمود درويش، تميم البرغوثي..، وغيرهم من الشعراء العرب أمثال: فدوى طوقان، شاعر العروبة نزار قباني، الشاعر السوري عمر أبو ريشة، والشاعرة العراقية نازك الملائكة.. إلخ، الذين أعلنوا من خلال انتماءهم والتزامهم بقضيتهم التي اكتست طابعا خاصا في السياسة الدوليّة وفي نفس كلّ عربيّ ثورة على المتعدّي الصّهيوني، لتواجه الذات الواعية بهويّتها الثقافيّة المتطلّعة للحرّيّة؛ بأفكارها التي تسللت بها إلى القارئ العربيّ، وبهواجسها ووازعها الدّينيّ ثقافة وقوة الآخر؛ إذ لم تمنعها لا القضان ولا الموت ولا النفي ولا التعذيب والتتكيل من مواجهته لتحقيق أهدافها المشروعة التي شرّعتها لهم المواثيق بترسيخهم مفهوم الانتماء للوطن، ونشر الوعي وغرس الروح الوطنية بين الفلسطينيين والقوميّة بين العرب، معلنين تمسّكهم بثقافتهم وترفّعهم عن الثقافة الغيريّة؛ الثقافة التهوديّة الساعية إلى طمس معالم الهويّة الفلسطينيّة بصفة عامّة والعربيّة بصفة خاصّة. ومن هذا المنطلق ما مفهوم الهويّة النضاليّة؟. ما مدى إسهام الشعر المعاصر في تعزيز الهويّة الفلسطينيّة؟. وكيف استطاع الشعب الفلسطينيّ مقاومة هويّة الآخر، خاصّة وأنّ هذه القضية طال أمدها؛ عاشت ولا زالت تعيش مكبلة بالقيود مدّة من الزّمن إلا أنّها لم ترضخ للآخر وظلت صامدة ولم ترض لهويّتها وثقافتها بديلا أو شريكا؟.

واجه الشعب الفلسطينيّ عدّة تحديات جعلته يصمد إلى يومنا هذا، وقد عكس من خلالها تشبّته بقضيّته وبمصيره، ومن هذه التحديات نجد تحديّ سؤال الهويّة الذي ستمحور حوله مداخلتنا من خلال دراستنا بعض النماذج الشعريّة التي عكس من خلالها الشاعر الفلسطينيّ والعربيّ مواجهته لأشدّ الأزمات التي عرفتها الدّول المستعمرة المضطهدة وهو ظهور أزمة الهويّة بين الصمود أو الاستئصال؛ التي أظهر من خلالها نضجه الفكريّ وتمسّكه بدينه ومعتقداته وعاداته وتقاليدته، ليتمثّل بذلك أصل وهويّة العربيّ أحسن تمثيل، فهذا الأخير فضّل التضحية، الاستشهاد، فضّل الاغتراب عن الوطن عوض الاغتراب عن

الدين الذي يعدّ عماد الهوية العربيّة، ليعدّ بذلك صانع القرار لم يمتثل ولم يفشل ولم تضعف قيم المواطنة لديه ولا حسه المقاوم، بل واصل المقاومة التي تكاد تبلغ القرن، ليحافظ بذلك على الهوية الجامعة متمسكا بمؤشرات تبشّر بالانتصار ولو طال الرّمن من ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم: "لا تُقَوْمُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ".

1- مفهوم الهوية: جاء في المعجم الوسيط أنّ الهوية تعني "حقيقة الشيء أو الشّخص التي تميّزه عن غيره، كما أنّها تمثّل بطاقة يثبت فيها اسم الشّخص، جنسيته، مولده وعمله، وتسمّى البطاقة الشّخصيّة"¹، فهي بذلك تعني تفرّد جماعة بسمات جوهرية وخصائص تميّزها عن غيرها. "وللهوية مرادفات متعددة منها: الذاتية أو الشّخصيّة، إلا أن (مولود نايت بلقاسم) نجده يفضل لفظة الإتيّة على لفظة الهوية المؤكّدة للذات والمثبّته للشّخصيّة²؛ بأن يكون الإنسان متطابقا مع ذاته وشخصيّته، بمعالمه وخصائصه المميّزة التي تجعله يتفرّد بها عن غيره، له نسقه القيمي، لغته، دينه، معتقداته، عاداته، سلوكياته، ميوله، اتّجاهاته وثقافة خاصّة به.. إلخ، فهي بذلك تعدّ أساس ما يبقى دائما ثابتا لا يتجدد ولا يتغير لا يقبل بديلا أو شريكا؛ ترتبط بإدراك الفرد لذاته..، خاصية ثابتة ومستمرّة للفرد والجماعة"³. وهذا ما ذهب إليه (الجرجاني) الذي عدّها "الأمر المتعلّق من حيث امتيازها عن الأغيار، والامتياز هذا بمعنى الخصوصية"⁴. ويعرفها (إيكس ميكشيللي) بأنها مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة، التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي، والهوية بالنسبة للفاعل الاجتماعي مركب من العمليات والأطروحات المتكاملة التي تفسر العالم، وتأخذ صيغة تعبيرية خاصة تطلق عليها النواة الهوياتية، وتضرب الهوية الذاتية للفاعل الاجتماعي جذورها في غمار الإحساس بالهوية، الذي يمنح الكائن الاجتماعي التماسك والتوجه الدينامي على نحو شمولي⁵. هوية تجعله يحسّ بالانتماء إلى الجماعة؛ بالوحدة والتماسك، بالاستقلال، بالثقة، بتأكيد الذات وتقديرها؛ إذ اعتبرها (رشاد عبد الله الشامي) "الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها العرقية - المكوّنة لها- على مدار تاريخ الجماعة (التاريخ) من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة)، وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي)"⁶، إنّها "مجموع قوائم السلوك واللغة والثقافة، التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها، غير أن الهوية لا تتعلق فقط

بالولادة أو بالاختيارات التي تقوم بها الذات، لأن تعيين الهوية سياقي ومتغير⁷، إذا ربطت بالسلوك واللغة والثقافة.

2- الهوية الثقافية: هي مجموعة من المبادئ والإيديولوجيات والمعتقدات التي نجدها تركز على اللغة الدين، العرق الجنس، الأدب، العادات والتقاليد، التاريخ..؛ أي أنها تمثل في مجملها جميع الانتماءات الاجتماعية، التاريخية الفكرية والثقافية التي تجعل فئة معينة تشترك أو تختلف مع الأفراد والمجتمع، "هذا الانتماء يزيد من تماسك المجموعة وقدرتها على التواصل والتعاون المتبادل، كما يزيد من تقوية الإحساس بالثقة والأمان الضروريين لتأسيس المجتمع، ابتداء من نواته الأولى الأسرة، وصولاً إلى أعقد الأنظمة الاجتماعية وأكبرها"⁸، ساعية في ذلك إلى تحقيق هدف مشترك، "وهو وحدة المواقف، ووحدة المهمات والسلوك، لتشكل - الهوية- إطاراً اجتماعياً بنوياً يتجه نحو تحقيق تماسك نسبي لمظاهر الحياة..؛ نظام ثقافي للجماعة"⁹، بثقافتها الخاصة، بالتزامات المذهبية التي تتشكل من خلالها ذهنية الإنسان، وتتحدد بذلك مشاعره ووجدانه وسلوكياته، باعتبارها الأداة التي يتعامل بها مع الواقع الذي سعى جاهداً إلى تغييره وهو تحت نير الدول المستعمرة، ليحافظ على التراث على اللغة، الدين والتاريخ، ساعياً في ذلك إلى إنمائها ونقلها من ناحية أخرى.

ويمكننا أن نلخص مقومات الهوية في الجدول التالي:

مقومات الهوية ¹⁰	
<ul style="list-style-type: none"> - هي أساس نشوء الهوية. - هي أساس إدراك العالم، وأداة التعامل مع الواقع. - أبرز السمات الثقافية والحاملة لها، نميز بها الذات التي تعدّ أساساً هوية تصنع حضارة إنسانية. - هي أساس تكوين الأمة ووجودها بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها. - هي أساس وحدة الفكر وبناء القومية. - تقوي الروابط الفكرية والعاطفية بين أفراد المجتمع. - معيار جوهري للتمييز بين الأمم. 	اللغة المشتركة
يكون وحدة الضمير	التاريخ المشترك
توحد بين الأمم	الوحدة الدينية
تكون شخصية الجماعة وهويتها بعناصرها المادية (الملابس، المباني..)	الثقافة المشتركة

والمعنوية: كاللغة، الآداب، النظم، الأخلاق، العادات والتقاليد، الأعراف.	
- يكون وحدة الولاء للوطن.	وحدة الوطن أو الإقليم
- ينمي الشعور الموحد بالانتماء لأمة واحدة يعيش تحت كنفها.	المشترك أو الرقعة
- يوطد أواصر الأخوة والشعور بالتقارب.	الجغرافية

ومما سبق ذكره نلاحظ أن التعريفات قد أكدت على نقاط أساسية مشكلة لمفهوم الهوية أهمها أن:

- ✓ الهوية مجموع خصائص مميزة لفرد أو جماعة بشرية؛
- ✓ الهوية تصنعها تراكمات ثقافية وفكرية عبر أزمنة طويلة؛
- ✓ الإحساس بالانتماء إلى هوية معينة، هو حاجة نسبية وضرورة اجتماعية؛
- ✓ الهوية تصنع التكتلات البشرية، وترتبط الأفراد لتكوين مجتمعات، تجمعها ميزات وعلاقات متينة صنعت عبر التاريخ؛
- ✓ اللغة ظاهرة ثقافية وهي أهم عنصر مكوّن للهوية؛

3- دور الأدب في ترسيخ الهوية الوطنية:

إذا جاز لنا أن نتخيل للهوية هيئة حامية، فلا بد أن يشكل الأدب الصفوف الأولى لهذه الهيئة بعد الإرادة السياسية، وهي مطالبة بالحفاظ على الهوية الثقافية العربية وترسيخ قيم المواطنة وغيرها، مما يكفل للفرد أن يتعرع على المبادئ والأفكار والأيديولوجيات، التي تشكل في نهاية المطاف هوية ثقافية اجتماعية سوية مشتركة، وهذا ما أقرت به نصوص أدبية بتعدد أشكالها.

وإن المحافظة على الهوية الوطنية، يستوجب الحرص على كل رمز من رموز هذه الهوية والحفاظ عليه من الاندثار، هذا ما يضع على كاهل الأدباء مسؤولية عظيمة، توجب عليهم مواجهة الآخر ببعده الثقافي الساعي إلى عزل الشعوب عن مرتكزات الهوية الوطنية وتفكيكها، وهذه الثروة كامنة في أفرادها، مع ضرورة تحقيق الأهداف التالية:

- ✚ التركيز على ترسيخ مفاهيم وقيم الثقافة العربية الإسلامية في مواجهة مفاهيم الفوضى والتشويه.
- ✚ العمل على تحقيق وحدة وطنية ووحدة الأمة العربية، ورفض أي فكر قد يؤدي إلى الإضرار بالوحدة الوطنية على وجه التحديد، وذلك برفضها أي تغيير لما هي عليه ورفض خلق وطن جديد.
- ✚ رفض التعددية الثقافية؛ من ذلك الصراع القائم بين الدول المستعمرة - عربي إسرائيلي - أرض الميعاد -، الصراع الذي نقل فيه مشاعر الغضب والمرارة والكراهية للأغيار بثقافتهم التي تحمل طابعا سلبيا لا يمتّ لديننا ولا لثقافتنا بالصلة.

✚ الحرص على عدم فك التماسك الداخلي الموجود في وعي المجتمع الفلسطيني مثلا (الاستمرارية)، والبعد عن التنافر والانشطار الذي من شأنه فك الجماعة وتشتيتها، وبالتالي القضاء على الهدف المشترك ليحكم عليها بالفناء.

✚ تعزيز الدعائم التي لا تتعارض مع قيم المجتمعات العربية والاهتمام بعلومها.

✚ العمل على تعزيز دور الثقافة والفكر العربي، دون إهمال الجانب القومي العربي الإسلامي، ودون تغييب الحضارة العالمية؛ إذ لا بد من الوقوف على أهمية الدور الذي يقوم به الأدب والشعر على وجه الخصوص، في رسم معالم الخصوصية الثقافية والدفاع عنها وغرسها في نفوس الشعوب العربية والفلسطينية والعالم ككل، "بانتقاء النافع من المعلومات، واستخدام المعارف في إنتاج أفكار جديدة وإنتاج البرامج والأفلام الهادفة، لترسيخ الثقافة العربية والدينية والاجتماعية"¹¹.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى جزئية هامة في هذا السياق هي أن الدول المستعمرة تقع بين مدين ثقافيين جارفين؛ الأول هو المد المشرقي الذي إليه انتسابنا دينا ولغة، ثم المد الغربي الذي تمثله الثقافة الغربية الحديثة بكل أطيافها، وهذا على المستوى الخارجي، أما داخليا فتميزها الهوية التعددية لمجتمعات شمال إفريقيا -مثلا- بميزتين رئيسيتين: التعدد والانصهار، أو ما أطلق عليه بالوحدة في التعدد؛ أي انصهار المكونات الثقافية المتعددة في إطار واحد، يشكل هوية الإنسان في المنطقة¹²؛ في ظل تعدد اللهجات وتتنوع الثقافات. وفي ظل هذه التجاذبات بات لزاما على الدول المستعمرة الحفاظ على هويتها، مع الحرص على عدم الانفصال عن التيارات الداخلية أو الخارجية، وأن تحسن إعطاء كل منها حقه في البناء، دون انسلاخ وذوبان ولا إنكار أو انعزال.

4- الشعر العربي المعاصر وتمثلاته للصراع الهويّاتي:

سعى الكثير من الشعراء دعم الهوية الوطنية وحمايتها من التبعية أو الانحلال والذوبان في ثقافة الآخر، مرتكزين في ذلك على مقوم من مقوماتها - اللغة - باعتبارها ظاهرة ثقافية و أهم عنصر من مكوناتها؛ يحمي بها نفسه من العدوان والاستئصال الثقافيّ فالإبادة، حاول من خلالها تكوين وترسيخ هوية نضالية باستنهاض الهمم وتكوين وعي سياسيّ يصل بها هويته الوطنية؛ بلغته العربية ولغته الشعبية الفلسطينية الضاربة بجذورها في عمق التاريخ المرتبطة بالفكر والثقافة والقيم والعادات، المحافظة على وحدة البلاد لا الانفصال، وعن أهميتها يقول "أهل النسبية اللغوية: لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي، وهو نفسه ذاك العالم الذي انتزعه محمود درويش ممن أرادوا أن يسلبوه إياه، فراضين عليه أن يفارقه، حاملا معها عالمه، لقد قرر..، أن يكون وطنه حقيقة سفره، وليس هناك خير من اللغة

زادا لسفره هذا، فاللغة هي الذات هي الهوية، وهي الأداة التي تصنع من المجتمع واقعا¹³ بدونها يتحوّل إلى أشنات.

استنهض بها الشعراء الهمم وكونوا الوعي السياسيّ الداعم للهوية الوطنية التي صقلوها بشعرهم الوطني والقوميّ الهادف إلى تعزيز وترسيخ هوية نضالية ثقافية بعيدة عن التبعية أو الانحلال والدوبان، فاللغة تستمد أهميتها من قدرتها التمييزية للأفراد ومن شكلها المادي، ففي الوقت الذي تمثل فيه الهوية الشكل المعنوي، فإن اللغة تمدّها بالجانب المادي؛ "إنّها الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها..، تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراصاً خاضعا لقوانين، إنها الرابطة الوحيدة والحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان"¹⁴ الذي تُرسم فيه الهويات، إنها تعطي الأنماط التي نفكر بها والتي بواسطتها نبني العالم. وقد أظهرت الدراسات شدة تعلق الأفراد بلغاتهم حتى أنهم اعتبروا التفريط فيها تفريطاً في إنسانيتهم، وهو الأمر الذي جعلها تتدرج في المقام الأول في سلسلة مكونات الإطار المرجعي والهوياتي، "وقد أجمعت الدراسات السوسولوجية أن اللغة إحدى أبرز مكونات الهوية، إذ يختلط كل من الجنس والعرق بها..، فاللغة والوطن متلازمان كوجهي العملة الواحدة لا يمكن الفصل بينهما"¹⁵، لتخلق بذلك اللغة الوشائج التي تجمع بقية العناصر المكونة للهوية. وإنّ بثّ الوعي بتاريخ الوطن وإنجازاته باللغة، تحسيس بأنّه جزء من ذاتهم في ظلّ إنكار الاحتلال الإسرائيلي لوجود الشعب الفلسطيني، وتغيب هويته وإنكارها بسبب التشتت الذي يعيشه داخل عدد من التجمّعات داخل فلسطين المحتلة وخارجها"¹⁶.

فشعر القضية الفلسطينية المعاصر عرف بمعايشته وتفاعله مع الأوضاع؛ مع الواقع المرير الذي عبّرت عنه تجربة المبدع بمشاعره المتدفقة وحالته النفسية التي عكس بها ما يسكن في منطقة اللاشعور، ليتمثّل حقيقة وواقع الإنسان. والتجربة الشعرية التي يعيشها الشاعر "تشكّل عنصراً نفسياً بنويّاً لشعور وحدة الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية، والأسس المرجعية هي هنا المعايير المشتركة"¹⁷.

وفي المقابل فإنّ "مسؤولية الشاعر العربيّ في ظلّ الواقع العربيّ الرّاهن ومقتضيات اللحظة التاريخية وتحولاتها، مسؤولية ضخمة توجب عليه الإصرار على أن يكون ذاته الحقيقية، ولذلك يتحمّم عليه أن يتبين هذه الذات..، وأن ينأى بها عن كلّ صور الإحساس بالدونية، وفي المقابل يجتهد في إنضاج الوعي بالذات..، وإذ ذاك سوف نجد لدينا شاعراً عربياً معاصراً نفتخر به، وشاعراً عربياً جديراً بالريادة الثقافية لبني أمته ولغته وثقافته"¹⁸، وإنّ "الحاجة إلى الدفاع عن الهوية الثقافية العربية لا تقلّ عن حاجتنا إلى اكتساب الأمن"¹⁹. ومن الشعراء الذين دخلوا هذا المعترك وانحصر دورهم في الدفاع عن القضية الفلسطينية التي عدّت جامعة لوجدان العرب، الشاعر عبد الرحيم عمر الذي نجده يقول²⁰:

يا كلمات الشعراء احترقي واتقدي مشاعلا
يا كلمات الأنبياء رفرقي ترققي في دربنا مناها
لكي يموت شاعر على الدروب المظلمة
وتستفيق أمة على أساها نائمة

فالشاعر يشير في هذه الأسطر إلى الدور الذي أوكل للشاعر، فهذا الأخير استطاع أن يؤثّر على العدو بلغته، بكلماته التي كان لها وقع أشدّ من وقع السلاح، جعله يستبعده وينفيه لتكريسه روحه الفردية وإعلائه نزعة التمرد الوطنية والقومية باستنهاضه الهمم التي اتّقدت حماسا؛ كلمات أشعلت روح مقاومة لم يُحمد لهيبتها -قربا القرن- إلى يومنا هذا، رغم تعاقب الأجيال الذين واصلوا الكفاح والثورة، ليؤرثوا حبّ الشهادة والدفاع عن الوطن، عن الدين وعن التاريخ...

لينتقل من الحقل اللغوي إلى الحقل الديني متّخذا من كلمات الأنبياء موضوعا؛ فكلماتهم كالمسائل الذي يتحرّك ويضطرب، هو المورد الذي سيسقون منه الشهادة يوما ما في سبيل إعلاء كلمة الحق وفي سبيل تحرير الوطن، ولعلّ ذلك يكون سببا في استيقاظ الأمة العربية من سباتها، مبديا في ذلك استيائه من تقاعس العرب على مدّ يد العون لتغيير المصير؛ صحوة يعكسوا بها انتماءهم؛ فبقاء أمة أو زوالها مرهون بمدى تمسك شعوبها بثوابت هويتهم، هذه الثوابت التي عول عليها الشعراء لترسيخ القيم الهوياتية أو الأعراف التي ظلت راسخة في النفوس بين البشر، باعتبار أنّ الأمة "مؤسسة اجتماعية لها قيم، عقائد، أخلاق وكلّها تعكس الأنا الجمعي أو الانتماء"²¹، وهي ضوابط تتعالق وضوابط الأمة العربية التي ستمكّنها من المحافظة على هذا الانتماء، فيه توحد الأقطار العربية ويجتمع الشمل لتحرير الأرض المغتصبة -أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى نبينا عليه الصلاة والسلام- تحررا تاما بنزعة قومية شاملة تجمعها روابط مشتركة رابط العقيدة، اللغة، التاريخ والانضواء تحت راية واحدة لتتعتق من قيود الاحتلال.

ويقول الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم عمر²²:

لم تعشق عيناى سوى وطني
صلبوني في دار الغربية
ياحادي الزكّب
قيدني إختوي ورموني في الجبّ
قتلوني بجواب الصّمت

قتلوني بجواب الصّمت لأنّي أجبت

الوطن الأمّ الرؤوم، وهو "المكان الذي يحتضن الجماعة ويربطها بروابط اجتماعية وثقافية دينية"²³، يغدّي بها مقومات بقاءه وتطوره. وفي هذه الأسطر استهلّ الشاعر قصيدته بنقل مشاعر الحبّ تجاه وطنه الذي عاش ولازال يعيش مأساة طال أمدها، مأساة مكان عرف إبادة منظّمة بأشكال إجرامية، عكس من خلالها ما عاشه الفلسطينيون من قهر وتسلط وتقتيل جماعي واستباحة دون أن يحرك الطرف الآخر ساكنا، مستعينا في ذلك برمز من الرموز الدينية التي عكس بها تجربة الشّعريّة، وعدّه أداة فنيّة يشكّل بها بنية نصّه الشعري، فلم يكشف به عن الظاهر والجليّ لاستجلاء المضمّر والخفيّ. لينكّرنا بقصّة سيّدنا يوسف عليه السّلام، وفي ذلك ودلالة على ثورته ونضاله وعزمه على مواصلة النّضال رغم تخلّي العرب عنه وعن شعبه وقت الشّدّة دون إجابة لندائه، ليعكس بذلك وازعه الدّيني من خلال توظيفه لقصّة سيّدنا يوسف عليه السّلام التي جسّد بها خذلان العرب له وللفلسطينيين - باعتباره جزءا لا يتجزأ من الجماعة-، وعلى ضياع القيم العربية التي عرفوا بها؛ من نخوة وشجاعة ومروءته ونجده، ليجسّد من خلالها معاناتهم وصبرهم وجلدهم وقدرة تحملهم وإصرارهم على التّحدّي في ظلّ القوانين الدولية التي شرّعت للعدوّ انتهاك قوانين الحرب، مستهدفا مكونا من مكونات الهوية وهو الدين إذ أنّه حاول أن يستثير به "كوامن الإيمان وبواعث الإحساس الدّيني التي تجذب المتلقّي إلى سرّ القوّة في زمن الضعف، وتعمل على إرادة صلبة تمنحه طاقة دافعيّة ورغبة عارمة في المقاومة وعدم الاستسلام لمعطيات الاحتلال"²⁴، وإيمانهم بالنصر الذي سيأتي ولو بعد حين مبديا في ذلك قبولة الاغتراب المكاني على الاغتراب الدّيني الذي يعدّ القاسم المشترك بين الدّول العربيّة، وهو الدّيني سيكون سبب وحدتهم وانتفاضتهم، فالقضيّة هي قضيّة الأمّة العربيّة والإسلاميّة. وهذا ما ذهب إليه محمود مفلح ي في قصيدته "إنّها الصّحوة" بقوله²⁵:

وأقول للجيل الجديد

أقول للجيل المحصّن بالعقيدة والمنتوّج بالصّبّاخ

..وأقول يا جيل الكفاح

إنّا بلونا الليل والأشباه والموت المؤجّل والجراح

*** **

..وأقول يا جيل المصاحف

..يا خمير الأرض..يا طلق الولادة

ها أنت كالينبوع تدفّق في صحارينا..

وتمنحنا الوثيقة والشهادة ..
أنت الذي سيبدّل الأوزان والأحزان ..
يزرغ في العيون نخيلها ..
فلكم تباطأ في الرحيل عن القرى عام الرّمادة

*** **

وأقول حيّ على الفلاح
أقول حيّ على السّلاح
فإنّ فيك النّبض يورق بين ترتيل الظّهيرة والمساء

*** **

أنت الذي يقات جمر المرحلة
ها إنّ أحبار اليهود تجمّعوا ..ها إنّهم حشدوا لنا
...فاقرأ على تلك الرؤوس "الزلزلة" ...

اقرأ باسم ربك ما تيسر يا بلال

ليؤكد قوّة الجيل الجديد، جيل لا يرضى الرّدائل شريعة له، ولا غير الدين الإسلامي بديلاً، جيل ورث العقيدة، حبّ الجهاد والشّهادة في سبيل الله، جيل إذا نودي للصلاة لبي وإذا نودي للجهاد استعدّ واستجاب لتحرير الأرض المقدّسة، ليستعيد وطنه - دولة الإسلام - الذي سيبلغ به العزّة والكرامة، جيل له مقام في المواقف، جيل سيقضي يوماً ما على عصابة الإفك والظلام، جيل سيشرح فجر الحرّيّة على يده، جيل بغداد مضخّم بنور الكتاب وعطر السنّة، هم أبناء الصّحوة ونبراسها²⁶.

ويقول البرغوثي²⁷:

في القدس يرتاح التناقض، والعجائبُ ليس ينكرها العباد
كأنّها قطعُ القماش يُقَلِّبون قديمها وجديدها
والمعجزات هناك تُلمس باليدين

في القدس لو صافحت شيخاً أو لمست بناية

لوجدت منقوشاً على كفّيك نصّ قصيدة

يا ابن الكرام أ و اثنتين

في القدس رغم تتابع النّكبات، ريح براءة في الجوّ، ريح طفولة

فترى الحمام يطير يعلن دولةً في الرّيح بين رصاصتين

في القدس تُنظّم القبور، كأثهنّ سطورُ تاريخ المدينة والكتاب ترابها

فالقدس هي الأرض الشريفة التي يشهد لها التاريخ التليد بعراقتها، التاريخ الذي لن يقبل تهويدا ولا استبدالاً هوياتياً. فقبور شهدائها هي سطور تاريخ المدينة، كتابها ترابها، وكلماته نضال شعبها، وما شهدته أزقتها من وقائع خلّدها التاريخ بمعالمه الأثرية التي تشهد بشرعية بقائها وملكيّتها. فالشاعر في هذه الأسطر جعل من الجماد شاهداً يخطّ على كفّ من يلمس بناياتها قصائد تحكي فيها معاناة، ألم وكفاح شعبها، بنايات أرخت لذلك الواقع المرير، تاريخ سيبقي خالداً مهما تقدمت السنون، تاريخ سيبقى محفوراً في الذاكرة لن يتمكن من تزويره أو تزييفه وتغييره، ففلسطين عربية وستبقى عربية، وسينتهي هذا الصراع بانتصار عربي لا محالة.

كما يظهر تمسك الشاعر في مقاومته بثقافته الشعبية، بتوظيفه لرموز شعبية والتي كانت ظاهرة وجليّة في قصيدة "الشاطر حسن" للشاعر كمال غنيم التي قال فيها²⁸:

الخوف هو الخوف

من عهد " الغولة " والقصص المروية في زمن الجدات

فلماذا نخدع أنفسنا ونصقّق " للشاطر "

حين يمزقُ خوف الغولة

ويعود بستّ الحسن وما كنزته الغولة من ثروات؟

سأغني وحدي

لا يعنيني الوحش الكاسر أو شبح الغولة

وعزائي أن ألقه من ساروا قبلي

أن أستبشر بالقادم بعدي

أو مازالت ستّ الحسن هناك؟

تجرحها الأسلاك؟

يهزمها الجبن المئاتل دون حراك.

اتكأ الشاعر في هذا المقطع على موروث الحكاية الشعبية؛ ليؤكد أنّ الخوف الذي انغرس من خلال هذه الحكايات لن يؤثر على مسار المقاومة الذي يسعى إلى تحرير ستّ الحسن "فلسطين" من مكر الساحرات والأغوال التي تشكّل رمز الاحتلال؛ لأنهم تعودوا على هذا الواقع المرير وحشرجة الليل المظلم، فهو مستعدّ وجاهز لمواصلة الثورة ومواجهة الاستبعاد الهوياتي، ليعكس بذلك روح التمرد على

الأخر رغم ضيق الحدود التي يتحرك فيها، لم يعد يخشى تلك الغولة التي رسمتها له الحكايات لأن وعيه استوعب أنها من نسج الخيال، فتلك الرهبة من الاحتلال الذي تمثله بالغولة رغم قوته ورغم جبروته انطبعت في ذهنه، ولن تؤثر فيه ولن تنث من عزيمته وتحقيق مبتغاه، رافضا الخضوع والخنوع والاستكانة مبديا عزمه على روح المقاومة والنضال الذي من شأنه أن يسفر عن ميلاد دولة جديدة مستقلة وتحرر شعبي بما يتطلبه من اعتزاز بالهوية والعدالة الاجتماعية التي تتصف المظلوم²⁹. ليلخص لنا برموزه وإشاراته وشخصه تجربة شعرية صادقة عن تكوينه الثقافي الذي عكس به ملامح وخصوصية الهوية الفلسطينية، تكوين يقر بأن الانتصار يكون للبطل الحقيقي لا المتعدي، ليراوده بذلك هاجس الانتصار، متجاوزا الآلام في سبيل تحقيق الآمال والنهائية السعيدة التي نجدها في الحكايات الشعبية التي خدمت مضمون القصيدة.

الخاتمة:

وانطلاقا مما سبق ذكره يمكننا القول:

- أن الشعر العربي المعاصر ونخص الذكر شعر المقاومة الفلسطينية، استطاع أن يقوي الانتماء والشعور بالقومية وتعميق الهوية عند المتلقي بمعارضته للغزو الأجنبي بثقافته الغريبة، خاصة وأن غياب مثل هذه النصوص يقلص مساحة التأثير الأدبي والثقافي في نفس المتلقي ووجدانه، ليجد نفسه مجبرا على البحث عن بديل يشبع به حاجاته الثقافية والفكرية التي من شأنها أن تحدث القطيعة مع التراث، وبالأخص في مجال الثقافة والأدب عموما والشعر بصفة خاصة.
- خاض الشعر العربي المعاصر نضالا لاستعادة الحق والعدل والشرعية، نضال لإنعاش الضمير الجمعي ودفعه نحو الثورة بترسيخهم مفهوم الانتماء للوطن، ونشر الوعي وغرس الروح الوطنية بين الفلسطينيين والقومية بين العرب، معلنين تمسكهم بثقافتهم وترفعهم عن الثقافة الغريبة؛ الثقافة التهودية الساعية إلى طمس معالم الهوية الفلسطينية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة، ليكون بذلك هذا الأدب سدا منيعا يقف حائلا بينه وبين تحقيق أطماع الكيان الصهيوني؛ شعر يتواءم ومستجدات السياسية والثقافية مع إبداع في النظم محافظا في ذلك على عناصر موروثه كاللغة، الدين، العرق، التقاليد..؛ بمحافظته على موروثه الهوياتي، فرغم القيود التي فرضها الكيان الصهيوني إلا أن الشاعر العربي ظل محافظا على دوره المنوط به، إذ أنه لم يكتف بنقل الوقائع، بل سعى إلى تعميق الانتماء الثقافي والهوياتي عن طريق التصريح والإيحاء والتلميح لتنمية الشخصية وصلها وإرشادها ودفعها لتحقيق الحرية والسيادة، بتعزيزه للنزعة القومية التي تربط الأمة



العربية؛ هوية مشتركة يحقق بها تلك المخرجات، هوية تؤسس للقضاء على الآخر الذي سعى جاهداً استبعاد النخب المثقفة التي توطر المجتمع، حتى يتغلب الصباح على الأفكار، أفكار استطاع أن يحافظ بها على الأصالة الفلسطينية دون المساس بالهوية والانتماء الثقافي، على اعتبار أنّ الثقافة تمثل القسم الأكبر من هوية المجتمعات التي تمنح الفرد الإحساس بالاطمئنان والسكينة.

الإحالات:

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1425هـ - 2004م، ص998.
- 2- ينظر: مولود قاسم نابت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2007، ص366.
- 3- شما بنت محمد بن خالد آل نهيان، التنية الثقافية وتعزيز الهوية الوطنية، ط1، دار العين للنشر، القاهرة، 2013، ص60.
- 4- الجرجاني: التعريفات، نقلاً عن: عامر رشيد مبيض، موسوعة السياسة الاجتماعية الاقتصادية العسكرية (مصطلحات ومفاهيم)، دار المعارف، مكتبة الأسد، الجمهورية العربية السورية، ط1، 1999، ص1380.
- 5- أليكس مكشيللي: الهوية، ترجمة: علي وطفة، دار الرسم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993، ص169.
- 6- رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1997، ص7.
- 7- عز الدين مناصرة: الهويات والتعددية اللغوية (قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن)، دار مجدلوي للطباعة والنشر، عمان-الأردن، ط1، 2004، ص24.
- 8- محمد الكوخي: سؤال الهوية في شمال إفريقيا "التعدد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ"، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2014، ص14.
- 9- ألكس ميكشيللي: الهوية...، ص38.
- 10- ينظر: يوسف زناتي: الهوية الثقافية في الموسيقى الجزائرية "فرقة نجوم الصف - سبدو- تلمسان أنموذجاً"، مخطوط رسالة ماجستير في تاريخ الموسيقى الجزائرية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص35-41.
- 11- زهيرة مزار: أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة بين متطلبات تفعيل الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقرار السياسي-الجزائر أنموذجاً- ضمن فعاليات ملتقى وطني حول "القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة" نظمتها كلية العلوم الاجتماعية جامعة جيلالي بونعام، 2017/20/27، ص12.
- 12- المرجع نفسه...، ص13.
- 13- فصيلة الصديق، لغة الطفل والهوية الوطنية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع6، 2006، ص87.
- 14- فهد خليل زايد: العربية بين التغريب والتهويد، دار مكين للنشر والتوزيع، دار يافا، د.ط، 2006، ص21.



- 15 - ينظر: التعدد اللغوي وسؤال الهوية، بحث مقدم لمؤتمر الهوية واللغة في الوطن العرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط1، 2012، ص15.
- 16 - ينظر: صايغ يزيد: الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993" الكفاح المسلح والبحث عن دولة"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2003، ص7.
- 17 - أليكس مكشيللي: الهوية..، ص 9.
- 18 - صلاح رزق: الشعر وقضية الهوية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2014، ص46.
- 19 - المرجع نفسه..، ص17.
- 20 - عمر عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات مكتبة عمان، عمان، د.ط، 1989، ص128.
- 21 - ينظر: صلاح رزق: الشعر وقضية الهوية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2014، ص19.
- 22 - عمر عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة..، ص456.
- 23 - صلاح رزق: الشعر وقضية الهوية..، ص10.
- 24 - سماح أحمد حلمي سليم: الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام 1987، الجامعة الإسلامية، غزة، مخطوط رسالة ماجستير، مايو 2017 - رمضان 1438، ص116.
- 25 - محمود مفلح: إنها الصحوة...إنها الصحوة، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1988، ص ص 37-38.
- 26 - ينظر: سيد بن حسين العفاني: تثبيت أفئدة المؤمنين بذكرمبشرات النصر والتمكين، دار ماجد عسيري، د.ب، د.ط، د.ت، ص 327.
- 27 - تميم البرغوثي: في القدس، دار الشروق، د.ط، د.ت، ص ص 10-11.
- 28 - كمال غنيم: ديوان شهوة الفرح، مكتبة مديبولي، القاهرة، ط1، 1999، ص87.
- 29 - ينظر: سماح أحمد حلمي سليم: الغموض في الشعر الفلسطيني بعد عام 1987..، ص 126.